حفريات مقبرة الحيرة

ماجد عبد الله الشمس
مدرس - مركز إحياء التراث العلمي العربي
جامعة بغداد

الحيرة مدينة مهمة في تراثنا العربي قبل الاسلام، وفي مطلعه . لقد كانت مركزا حضاريا وسياسيا يشار إليه بالبنان أخذ موقعها بالتنامي بعد زوال سلطان مملكة الحضر العربية السياسي في شمال القطر . وكذا ميسان في الجنوب . ومن هذه النقطة جاءت أهمية دراسة المواد التي جاءتنا من المنطقة المذكورة مادام التنقيب النظامي فيها قليلا .

كان اختيار موقع الحيرة للتنقيب **للكشف** عما يمكن كخطوة تتبعها مراحل . وعلى أية حال إن الحيرة كعاصمة لمملكة المناذرة العرب كانت تختلف عن عواصم عربية اخرى اذ لم تكن لوحداتها البنائية المتناثرة سور موحد. ومن هنا جاءت صعوبة الربط بين تلك الوحدات التي تمثل تلالا لم تكتشف الى الان طالما تعدى التوسع الزراعي وانشاء الطرق عليها . وكذا الفيضان .

لقد أوضحت لنا المعلومات المتوفرة منذ عامي ١٩٦٥ — ١٩٦٦ أن كتف بحر النجف . ضمن قضاء ابي صخير . غني باللقى حيث يمثل مقبرة عامة الناس . لذلك فعند صدور التكليف بالحفر في الحيرة تم اختيار منطقة لسيت بعيدة عن الشارع العام، حيث وجدت اللقى المستخرجة عرضا عند حفر الشارع المذكور وانشائه خلال الفترة اعلاه .

كانت بداية تنقيباتنا النظامية في كتف بحر النجف ربيع عام ١٩٨٠ . الذي استمر زهاء الشهر والنصف . وخلال هذه الفترة تم إختيار ثلاثة مناطق رئيسية للتنقيب واخرى فرعية على مسافات منها . أما المنطقتان . التي اصطلحت عليها (م ، ب) فتقعان قرب مجزرة متروكة بنيت حديثا . الاولى الى الجنوب والجنوب الشرقي منها . والثانية الى الغرب . في حين تقع المنطقة (ج) الى الجنوب من المتنزه .

عند التنقيب تم الحفر في مربعات طول كل ضلع فيها أربعة أمتار ، وقد تم توجيه الاضلاع نحو الجهات الاربع الاصلية . وفي (أ) تم الكشف عن أربعة وأربعين مربعا ، في حين نقب ستة وعشرون في (ب) وتسعة عشر في (ج) ، أي ما مجموعه تسعة وثمانون مربعا يضاف لها ثلاثة مربعات بين المنتزه والمجموعة (أ) ، في حين تم التنقيب في ثلاثين مربعا آخر في مناطق مختلفة من أبي صخير بعضها عبر الشارع أمام المتنزه لم يعثر فيها على أي أثر . والأخرى على مسافة زهاء الكيلو متر الى الغرب من المتنزه، على كتف بحر النجف في منطقة كورة للجص، تتناثر عندها كسر الفخار المزجج ، وعلى الرغم من ذلك فإن المربعات لم تسفر عن أية لقى . ويبدو أن السبب يعود لكشط السطح الاعلى والاستفادة من أتربته . كما حفرت مربعات متناثرة بين الشارع العام والممتدة الى المسافة الواقعة غرب المتنزه الا انها كانت دون لقى ايضا للسبب أعلاه . وبمعنى اخر إن المنطقة كانت ثمينة جدا بالمواد بالاصل الا أن نقل الاتربة وكشط السطح قد أثر فيها تأثيرا قوسفا .

إن ما سيتناوله التقرير عددا من النقاط لتوضح ما يمكن :

١ ـ طوبوغرافية منطقة الحيرة وما حولها .
٢ ـ نبذة في تاريخ الحيرة .
٣ ـ أهمية دراسة منطقة الحيرة .
٤ ـ قبور المنطقة حسب التنقيب النظامي .
٥ ـ ملاحظات عامة في القبور واللقى .
٦ ـ مواد المقبرة .

طوبوغرافية منطقة الحيرة وما حولها

قبل أن نبدأ بالعرض التاريخي وما يخص التنقيب ، لابد من اعطاء فكرة عامة عن شكل المنطقة قيد البحث . وكما لا يخفى ما للتشكيل الارض من أهمية في فرض الواقع الحياتي ونتاج الناس .

تقع منطقة بحر النجف ضمن الوديان السفلى والتي يحدها من الشرق السهل الرسوبي لوادي الرافدين، ومن الجنوب هضبة دبدبة، ومن الغرب سهل الحجارة الصخري. وتنحدر هذه المنطقة باتجاه الشمال الشرقي. وتتسم بكونها قليلة التضاريس وتحتوي على وديان قليلة العمق، من حيث أن بعضها الاخر منحدرات صخرية عالية وحادة، أي ذات منحدرات شديدة تمتد على جانبيها. إن معظم جوانب هذه الوديان تسطح حتّياً فقد ارتفع المنسوب القاعدي العام لها خلال العصر الجليدي مما أدى الى توسعها. كما وتوجد بعض الهضاب المنعزلة هنا وهناك الشديدة الانحدار تسمى بيوتاً وهي تسمية عربية بالاصل أخذها الاجانب. ولاغلب الوديان الموجودة في المنطقة متجهات شرق شمال – شرق، وهي تمتلىء بمياه السيول خلال الشتاء مما يؤدي الى تكوين مستنقعات صغيرة منتشرة في المناطق المنخفضة. ومن أشهر هذه الوديان الشعيب.

أصل ونشأة المنخفض:

من يتتبع بحر النجف والكتف المطل عليه، ضمن منطقة محصورة فقط من مركز محافظة النجف والى الجسر القريب من ناحية الحيرة، يرى أن ارتفاع الكتف في المركز هو نحو ثلاثة أضعافه في المكان الذي تم التنقيب فيه، ثم يبدأ الكتف بالانخفاض ويتلاشى بعد ابي صخير. الا أن المنطقة الواقعة يسار اتجاه نهر المشخاب، والتي تمتد لعدة كيلومترات، فيها عين مواصفات الكتف السابقة التي ترتفع موازية النهر لاقصى ارتفاعها ثم تنخفض تدريجيا ويطلق عليها تلول أبو خشم.

إن من ينظر الى منخفض بحر النجف في اية جهة من جهاته تتراءى له الارض المنبسطة حتى ينتهي عند حائطين مرتفعين احدها في الشرق، ويمثل حافة السهل الرسوبي والاخرى في الغرب، ويمثل حافة سهل الحجارة.

اختلف العلماء في اصل ونشوء هذا المنخفض والمنخفضات الاخرى في القطر كالثرثار والرزازة والحبانية. ويرى ليس وفالكون بأن المنخفضات المذكورة في حالة هبوط بسبب حركة التوائية مقعرة طفيفة بين التحدبات. الا أنه من المحتمل أن يرجع تكون بحر النجف الى سبب غير الذي تكونت بموجبه بقية السهول. فهذا البحر يقع عند حافة تكوينات كلسية وجبسية من جهة وتكوينات رملية من جهة اخرى. ويتمثل فعل المياه الجوفية باذابة التكوينات الملحية، مما أدى الى ضعف الارض وظهور هذا المنخفض الذي أخذ بالاتساع لعوامل جيومورفولوجية خارجية. ومثل هذه الظاهرة منتشرة من بقاع مختلفة في العالم وتسمى بالطارست[1].

نبذة في تاريخ الحيرة

رغم الأهمية التاريخية للحيرة الاّ أن ما يخفى من تراثها لكثير جداً. وكما أشرت سابقاً أنها لم تكن تشبه الحضر المسّورة مثلاً، مدينة محددة يمكن اجمال وصفها ضمن معطيات معينة بل ارضاً تضم وحدات مختلفة قد تكون قريبة أو بعيدة عن بعضها.

تضن علينا المصادر التاريخية بالوصف الواضح والمفصل للحيرة وضواحيها، لذا يبقى رفع تراب الماضي من واجب المنقبين.

لقد اختلف الباحثون في اسم الحيرة، ومع ذلك فقد ورد اسم «حيرتا» في نص مؤرخ بسنة (١٣٢ م)[٢]، كما أشار مؤرخ الى «إيرثا» كمدينة على الفرات[٣]. ولأهميتها فقد تعددت اسماؤها فقد سميت «الروحاء» وكذلك «البيضاء» وقيل أن الاخير جاء لأنهم «انما أرادوا حسن العمارة»[٤]. على أية حال لقد كان من اسباب اقتطاع أجزاء من تربة كتف النجف، عند منطقة أبي صخير، وكذا في أبي خشم، يعود الى امكانية تحويلها الى الجصّ. لذا يمكن أن تشير كلمة «البيضاء» الى استخدام العرب هذه المادة بكثرة في مبانيهم، مع مراعاة التمييز بين عملية الاقتطاع القديم والحديث.

أما فيما يخص ما ذكرته المصادر التاريخية عن بحر النجف نأتي الى ما قاله المسعودي: «وقد كان الفرات الاكثر من مائه ينتهي الى بلاد الحيرة ونهرها بيّن الى هذا الوقت، وهو يعرف بالعقيق، وعليه كانت وقعة المسلمين مع رستم، وهي وقعة القادسية، فيصب في البحر الحبشي، وكان البحر حينئذ في الموضع المعروف بالنجف في هذا الوقت، وكانت تقدم هناك سفن الصين والهند ترد الى ملوك الحيرة، وقد ذكر ما قلنا عبدالمسيح بن عمرو بن بقيلة الغساني حين خاطب خالد بن الوليد في أيام أبي بكر بن أبي قحافة رضي الله عنه حين قال: ما تذكر؟ قال: أذكر سفن الصين وراء هذه الحصون، فلما انقطع الماء عن مصبّه في ذلك الموقع انتقل البحر براً، فصار بين الحيرة وبين البحر في هذا الوقت مسيرة أيام كثيرة، ومن رأى النجف وأشرف عليه تبين له ما وصفنا»[٥] أما القزويني فقال في «اثار البلاد»: «بلدة قديمة كانت على ساحل البحر بقرب ارض الكوفة وكان

---

١ – فيما يخص هذا الجزء من البحث تم الاعتماد على ملاحظات قدمها الدكتور عدنان النقاش. ويراجع:

Fujii Hedev; AL-TAR (1), pp.15-43, Japam, 1976.

٢ – جواد علي؛ المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، جـ ٣٠، ص ١٥٧.

٣ – المصدر السابق، جـ ٣، ص ١٥٧.

٤ – ياقوت الحموي؛ معجم البلدان، جـ ٣، ص ٣٧٦، مصر، ١٩٠٦.

٥ – المسعودي؛ مروج الذهب ومعادن الجوهر، جـ١، ص١٠٣–١٠٤، مصر، ١٩٥٨.

هناك في قديم الزمان بحر والآن ليس بها أثر البحر ولا المدينة بل هي دجلة وآثار طامسة »[٦] . ولقرب الحيرة من الكوفة فقد سميت « الحيرتان »[٧] .

أما ياقوت الحموي (ت : ٦٢٦ هـ) فقال « الحيرة : بالكسر ثم السكون وراء . مدينة كانت على ثلاثة اميال من الكوفة على موضع يقال له النجف » . ثم يشير الى ما ذكره البعض من اتصال بحر النجف بالخليج العربي . وقال كذلك :

« وبالحيرة الخورنق يقرب منها مما يلي الشرق على نحو ميل والسدير في وسط البرية التي بينها وبين الشام كانت مسكن ملوك العرب في الجاهلية من زمن نصر ثم من لخم النعمان وآبائه والنسبة اليها حاريّ على غير قياس .... وحيريّ ايضا على القياس ، كل قد جاء عنهم ويقال لها الحيرة الروحاء قال عاصم ابن عمرو :

صبحنا الحيرة الروحاء خيلا
ورجلا فوق أنباح الكلاب
حضرنا في نواحيها قصوراً
مشرّفة كأضراس الكلاب[٨]

أما ابي عبيد الاندلسي (ت : ٤٨٧ هـ) فقال :
وكان مكان الحيرة من أطيب البلاد . وأرقّه هواء وأصفه ماء وأغذاه تربة . وأصفاه جوّا . قد تعالى عن عمق الارياف . واتضع عن حزونه الغائط . واتصل بالمزارع والجنان والمتاجر العظام . لأنها كانت من ظهر البرية على مرفأ سفن البحر . من الصين والهند وغيرها وعن النهر الذي يمر بالحيرة قال : « ونهر الحيرة مدفوق من الفرات الى النجف »[٩]

أما الاصطخري (ت : منتصف القرن الرابع الهجري) فقد قال في « المسالك والممالك » : « والقادسية والحيرة والخورنق هي على طرف البادية مما يلي الغرب ، ويحيط بها مما يلي النخيل والانهار والزروع ، وهي والكوفة أقل من مرحلة ، والحيرة مدينة جاهلية طيبة التربة مفترشة البناء كبيرة ، الا أنها خلت عن الاهل لما عمرت الكوفة ، وهواؤها وترابها أصح من الكوفة ، وبينها وبين الكوفة نحو فرسخ[١٠] وفي « صورة الارض » لابن حوقل فقد جاء عن الحيرة : « والحيرة مدينة قديمة ازلية طيبة التربة مفترشة البناء وقد خفّ أهلها بل لم يبق منهم الاّ القليل بعمارة الكوفة ، وبينها وبين الكوفة نحو الفرسخ »[١١] .

أما بالنسبة الى من سكن المدينة في القديم فتشير عدد من المصادر العربية الاسلامية الى أن العرب سكنوا الحيرة منذ زمن العاهل البابلي نبوخذنصر (٦٠٤ — ٥٦٢ ق . م .) ، الاّ أنها أشارت الى انتقالهم الى الانبار حيث ابتنوا موضع عسكرهم ، لذلك اصبحت الحيرة خرابا من الوقت لغاية مجيء قبائل عربية سكنتها[١٢] . وقد ورد عن أبي المنذر هشام أن عربياً زمن نبوخذنصر يدعى معد بن عدنان جمع كل ما كان في بلاد بابل من التجار العرب ، وبنى لهم حيراً على النجف وحصّنه ثم جعلهم فيه[١٣] . وتشير مصادر الى أن الانبار عظم شأنها بعد ترك الحيرة لخمسة قرون ونصف ، ثم عمرت الحيرة فيما بعد زمن عمرو بن عدي لاكثر من خمسة قرون[١٤] .

وليست هناك من حاجة لسرد تاريخها قبل الاسلام ومن كان بها من ملوك . أما في العصر الاسلامي فقد قلت أهميتها ومع هذا فقد تمتعت الحيرة ببعض الأهمية أحياناً ففي عام ١٨٠ هـ سار هرون الرشيد اليها وابتنى فيها المنازل وقطع أصحابها القطائع[١٥] ، وكذا فعل عدد من خلفاء بني العباس لطيب هوائها وصفاء جوّها وجودة تربتها « وقرب الخورنق والنجف منها » . الاّ أن الحيرة أقفرت في أواسط القرن الرابع للهجرة[١٦] بعد أن تركت تاريخاً مهماً لمدينة كان لها دورها في نشر الكتابة والعلوم حتى في جزيرة العرب[١٧] .

أما المدونات التي تعطينا تاريخاً مضبوطاً عن ملوك الحيرة فقليلة منها تاريخ يعود لأمرىء القيس مؤرخ بـ (٣١٢ م) . وكما سيأتي الى ذكر تاريخ القطع الزجاج والمواد الفخار المكتشفة في الموقع انها تعدد الى القرن الرابع الميلادي عموماً . وبالمثل يعود تاريخ الختم المنبسط المكتشف في احد القبور الى القرن الرابع للميلاد ايضاً . وبكلمة اخرى أن المواد المكتشفة في مقبرة الحيرة يعود معظمها الى فترة ازدهار المدينة في عهد أهم ملوكها كامرىء

---

٦ — ابو زكريا القزويني ؛ آثار البلاد واخبار العباد . ص ١٣٤ ، كوتنجن . ١٨٤٩ .
٧ — عبد الحق . حقي الدين : مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع . ص ٣٣٢ . ليدن . ١٨٥٠ .
٨ — ياقوت الحموي : جـ ٣ . ص ٣٧٦ — ٣٧٧ .
٩ — الاندلسي . أبي عبيد : معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواقع . جـ ٢ . ص ٤٧٩ ، مصر . ١٩٤٧ . (ضبط مصطفى السقا) .
١٠ — الاصطخري : المسالك والممالك ، ص ٥٨ . مصر . ١٩٦١ .
١١ — ابن حوقل : صورة الارض ، ص ٢١٥ ؛ بيروت . ١٩٥٧ .
١٢ — يراجع : الطبري ؛ تاريخ الامم والملوك ، جـ ١ . ص ٢٩١ — ٢٩٣ ، مصر . جـ ٢ . ص ٢٧ — ٣١ . جواد علي . جـ ٣ . ص . ١٦٠ .
١٣ — البستاني : دائرة المعارف . م ٧ . ص ٢٥٧ .
١٤ — المصدر السابق . م ٧ . ص ٢٧٦ .
١٥ — المصدر السابق . م ٧ . ص ٢٧٧ .
١٦ — المصدر السابق . م ٧ . ص ٢٧٧ .
١٧ — تاريخ العلاقة ابن خلدون . م ، ص ٧٤٦ ، ١٩٦٧ . بيروت . دائرة المعارف الأسلامية ، م ٨ ، ص ١٦١ .

القيس .

أهمية دراسة مقبرة الحيرة : ـ

يشغل معتقد الانسان حيزاً كبيراً من تفكيره ، فالفكر الديني مرآة عاكسة لمحيطه وآماله . ومن الواضح أن لنهاية الانسان حصّة مهمة في عالم المعتقد . وبالنسبة لفترة كالعربية قبل الاسلام ما يمكن أن نعتبر كل خيط جديد يصلنا عنها عبر وثيقة معتمدة أو حفريات نظامية أو غير نظامية تحمل دليلاً يثبت تاريخها أو ضمن معطيات مقارنة علمية بمثابة ركيزة تحيط اللثام عن جانب من تأريخ طويل . أن ما تجدر الاشارة اليه أن التنقيب النظامي للفترة العربية المذكورة ، وخاصة في فترتي الحضر والحيرة ، يثبت ويؤكد الواقع الحضاري والفكري للعرب واصالة العديد لما تركوه اضافة الى ما يوضح التأثر بمجالات عالمية بما كان سائداً منذ الفترة السلوقية من مؤثرات لم تفقدها اصالتها .

على أي حال ، أن ما يقره الباحث في فترة الحيرة أن المادة الدينية قليلة ولا تكفي لاعطاء فكرة كافية عن معتقدات العرب آنذاك ، سيما وإن ما وصل اعتمد الرواية المتناقلة التي لم يدون معضمها إلا في فترات تالية لذلك كان مبدئياً أن يدخلها الخلل . أما بالنسبة الى مقبرة الحيرة فإن المواد التي جاءتنا منها تمدنا باستنتاجات محددة حيث تنقصها الوثيقة المدونة ، وليس لدينا غير الختم المنبسط من المربع (١١٧) ما يمكن مقارنته بوضوح ولو بشكل تقريبي بأمثلة أخرى ، وهذا من حيث التأريخ فقط ، أما دلالة مثل القطع وسبب وضعها أمر مبهم اخر .

أن ما يفتقده الباحث ، حينما يريد توثيق معلوماته عن القطع التي يعثر عليها في مقبرة الحيرة عدم وجود نصوص تشير اليها . على أية حال إن اغفال التاريخ للمهم من الآثار ليس جديداً اذ أننا نجهل ابسط الامور عن قصر مهيب كالاخيضر .

إن العمل الذي تمّ منذ ربيع ١٩٨٠ يعتبر النظامي الأول لازاحة بعض الغموض عن القضايا المتعلقة بقبور الفترة التي نحن بصددها ، اذ ما كان يردنا من قطع هو من خلال حفر عرضي كتشييد البيوت ورفع الاتربة ، وكما مرّ أن فترة انشاء الطريق المار عبر أبي ضمير[١٨] والموازي لبحر النجف كانت مهمة فقد زودتنا بقطع مهمة جداً[١٩] .

لقد كانت أول دراسة نحت للآثار المشار إليها على يد الباحثة الايطالية ماريا مادلينا نيكرو ، والتي صدرت عام ١٩٧٢ في « ميزوبوتاميا » الصادرة عن العهد الايطالي للآثار وقد خصّ الزجاجيات المكتشفة . وقد جاءت تلك الدراسة بعد نشر الباحثة المذكورة موضوعاً عن أثار « تل ماحوز » ، ضمن محافظة التأميم ، لآثار تعود لنفس الفترة ، استخرجت سنة ١٩٣٦ ، عند حفر قناة الحويجة ، نشرتها سنة ١٩٦٩ في نفس مجلة المعهد . وقد اعتمدت ماريا على بعض المعلومات الواردة في التقرير الذي صاحب جلب الآثار .

أما دراسة ماريا لآثار الحيرة ـ ابو صخير فقد تناولت القطع الزجاج ، وأشارت الى أنها جاءت من ثلاثة انواع من القبور ، افترضت أنها قد تعود لازمنة مختلفة أدرجتها ضمن الآتي : ـ

١ ـ مجموعة قبور مغطاة بجرار بيضوية مطلية بالقير من داخلها ، وحسب رأيها أن هذا الفرع من القبور هو دون لقى وتعود الى فترة الحيرة خلال الاستعمار الساساني ، وبالنسبة الى اتجاه هذه القبور ذكرت أنه شرق ـ غرب .

٢ ـ مجموعة كشفت قرب الشارع العام وقد عملت كحفرة عمودية وحنية وحنية افقية (؟) ، وهي بدون لقى .

٣ ـ قبور مزودة باغطية فخار مزججة ذات نهايتين مستديرتين ، تحتوي على هدايا دفنية شملت الفخار وقناني زجاج وخرز نحاس وفضة ، وفي بعض الامثلة صفائح ذهب ، إلاّ أنها خالية من النقود . وقد اعطت لها تاريخاً يعود الى نهاية الاستعمار الفرثي وبداية الساساني ، أي القرن الثالث الميلادي ، أما بالنسبة الى الاتجاه فاشارت الى أن هذا النوع موجّه جنوب شرق .

أما التنقيب النظامي الذي تمّ في الموقع فقد كشف عن نتائج تختلف عما أشارت إليه الباحثة المذكورة ، ويمكن ايجاز ذلك بنقطتين لحين التحدث عنهما بشكل أوسع : ـ

١ ـ إن اتجاه القبر لا علاقة له بشكله ، إذ أنه يختلف حتى ضمن الشكل الواحد .

٢ ـ إن كلا من النوعين الاول والثالث اجب التقسيم المفترض) قد يزودنا أولا يزودنا باثار . أما النوع الوارد في النقطة الثانية فغير واضح ولم اعثر عليه ، وربما كان ترجمة لنص تقرير غير دقيق ويقصد به نمط من القبور مشيدة بالطابوق .

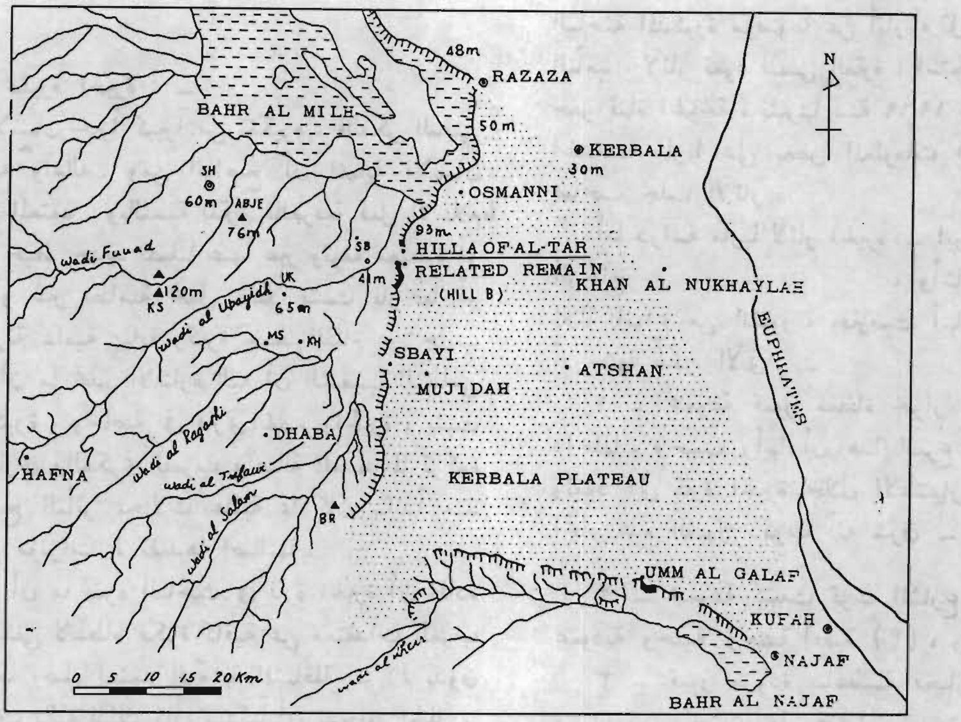
قبور المنطقة حسب التنقيب النظامي

قبور المنطقة حسب التنقيب النظامي يمكن تقسيم القبور التي

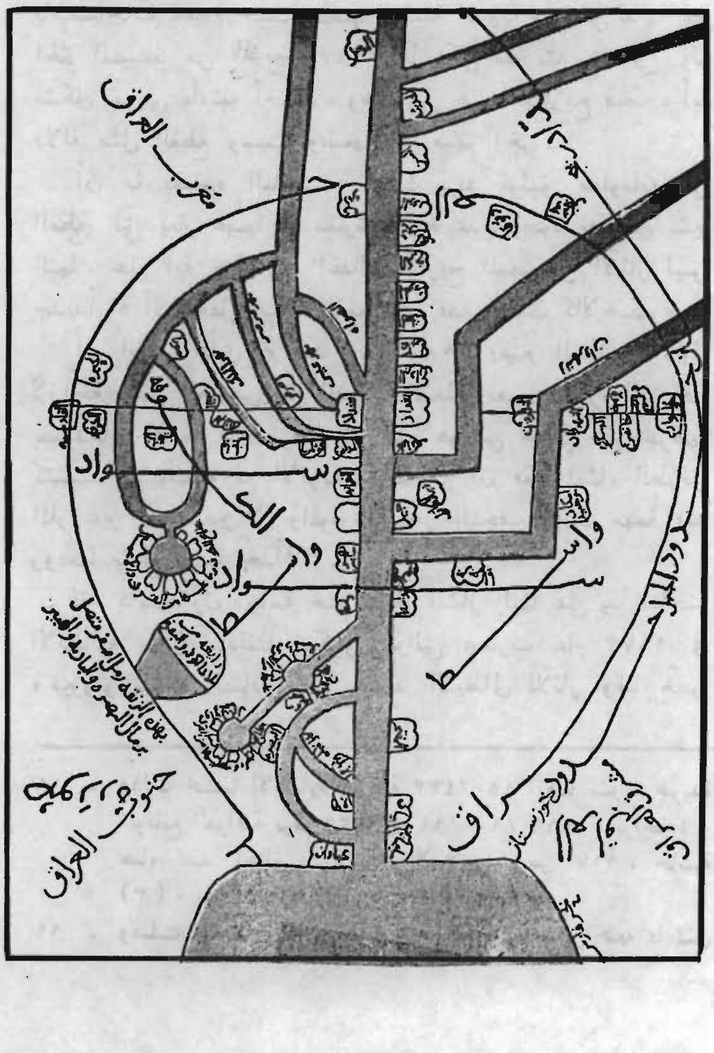
---

١٨ ـ وذلك بحسب الاضبارة المرقمة ٤٣٢/ ٤٥ ، وما نشرته جريدة الوقائع العراقية برقم ١٣٢٦ في ١١/ ١٠/ ١٩٦٦ . يراجع : هناء عبد الخالق ، الزجاج الاسلامي ، ص ١١٧ ، حاشية (٣) ، بغداد ، ١٩٧٦ .

١٩ ـ وصلت المتحف العراقي عدد من القطع مما أمكن جمعه بما تمثل بـ (١٣١) قطعة سجلت ضمن ارقام متحفية من (٧١٥٠٣ ـ م . ع الى ٧١٦٤٠ ـ م ع) ، وشملت (٦٤) قطعة من الزجاج ، و (٧٤) قطعة فخار منها (٤٢) بدون تزجيج و (٣٠) مزججة ، و (٢) مصبوغة . اضافة الى مجموعة من الخرز رتبت في قلادتين ، اضافة الى إناي ذي قاعدة .



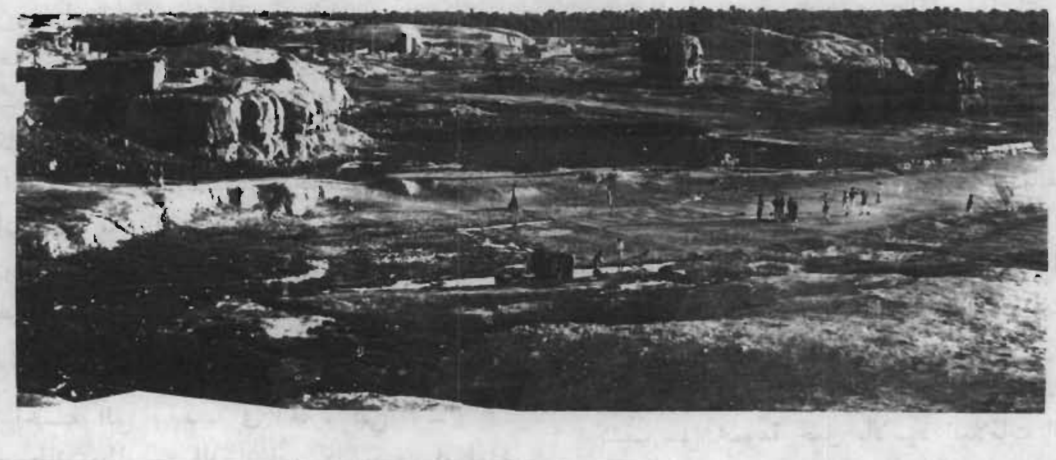
(الشكل ـ ١) ـ خارطة تبين منطقة بحر النجف وهضبة كربلاء.
(عن بعثة تل الطار اليابانية)



(الشكل ـ ١/ ب) ـ خارطة لوسط وجنوب العراق وقد ظهرت مدينة الحيرة حسب ابن حوقل في صورة الارض.



(الشكل ـ ٢) ـ المنطقة السكنية الكائنة على كتف بحر النجف في مركز المحافظة .



(الشكل ـ ٣) ـ صورة ملتقطة من اعلى كتف بحر النجف وتظهر التكوينات الطينية ومستوى انخفاض هذا الجزء في مركز المحافظة .

عثر عليها في الموقع ، حسب التنقيب النظامي ، الى خمسة انواع ضمن المواصفات التي امتازت بها . وبما أن تلك الامثلة اعتمدت على أساليب سبقتها أو اختلفت عنها لذا نعرض نبذة تاريخية في الموضوع .

لقد تنوعت أساليب الدفن في القطر قديماً ، ومع ذلك فإن سكان القطر لم يسرحوا في الخيال كما ذهب قدماء المصريين في المبالغة بموضوع الموت وما صاحبه من استعدادات مكلفة بالغة التعقيد . أما بالنسبة لفترة الحضر السابقة للحيرة فقد أهتم العرب فيها بالاموات حيث بنوا المدافن البرجية وتفننوا في اقامتها بما كان يكلف مبالغ ليس بميسور العائلة الفقيرة ، أو ذات الدخل المحدود أن تهيئتها . وعليه فإن مقابر الحضر ، وخاصة الموجودة منها في الجانب الشرقي من المدينة وكذا بعض الجنوبي هي ليست لعامة الشعب . ومع ذلك فإن عرب تدمر كانوا أكثر مبالغة من العرب الحضريين فقد اضافوا لها الساحات والتماثيل وزينوها بجميل الزخرفة والرسم . أما في الحيرة فالامر أبسط بكثير في منطقة تفتقر الى الحجارة ، كما إن المنطقة المنقب فيها هي لعامة الشعب ، كما نستدل على ذلك من كثرة قبورها وبساطة موجوداتها وأساليب اقامتها ، اذ لم تكن تتعدى حفرة توضع فيها اوعية فخارية أو ترتب فوهة الهيكل جرار بيضوية أو بناء هيكل بسيط من الطابوق .

منذ العصر البابلي الحديث (٦٢٧ - ٥٣٩ ق . م) برزت أوعية الدفن بشكل حوضي من الفخار [٢٠] ، الى جانب توابيت ذات شكل بيضوي يشبه القدم ، أو اناء مغطى بنهايتين دائريتين ، في حين كشف التنقيب عن توابيت ذات نهاية مستديرة واحدة تميزت باستدارتها في حين كانت الاخرى مستقيمة ، يفترض البعض بأنها متأثرة بنماذج من شرق القطر [٢١] . ومن فترتي الحضر والحيرة تم الكشف في كل من سلوقيا [٢٢] وكوخه الى الجنوب منها عن نماذج لتوابيت فخارية ، اضافة الى اماكن اخرى مثل نينوى اذ عثر على نماذج من توابيت لها شكل الحذاء نشر المنقب ليرد بعضها

وبصورة عامة فإن التوابيت التي وصلتنا من التنقيبات العرضية والنظامية من هذه الفترة كثيرة وتميز بعضها بالتزجيج بالازرق الخضر وبالاشكال البارزة بالتزجيج أو بدونه كالاشكال الحلزونية والخطوط أو بدمى انثوية احياناً ، كما في أمثلة من مدن نفر ، الوركاء ، بابل وسلوقيا .

أما الانواع الخمسة التي وجدت في الحيرة فهي : -

١ - قبور مغطاة بغطاء من الفخار له شكل نصف اسطواني بقطعتين تدمجان معاً وتكون نهايتاها مستديرتين ، ونبعا لذلك نأخذ كل من النهايتين شكل نصف القبة . وتكون حافات القطعتين أعرض من سمك الغطاء الاصلي لضمان عدم كسرها . اما الطينة فهي غير نقية ولم تعرض الى النار بشكل كافٍ مما أكسبها اللون البرتقالي عموماً أو الاصفر احياناً . وعلى الرغم من أن غطاء الهيكل يتالف من قطعتين عموماً ، الاّ أن قطعة ثالثة قد توضع عند الوسط اضطراراً في حالة كون الهيكل طويلاً في حالات نادرة . أما أبعاد الغطاء الكامل بالقطعتين فتبلغ مترين في حين يبلغ العرض من الاسفل نصف المتر . والاغطية بدون قاعدة وتوضع مباشرة على الارض . ولكي يضمن الناس تماسك الغطائين استعملوا مادة قوامها طينة مائلة للخضرة ، وهي نوع جيد التماسك ، وقد لاحظت أنه عند الوصول لبعض الاغطية ان مادة الطين فيها نوعاً من الطراوة وذلك لامتصاصها الرطوبة ومياه الامطار المتخللة اليها عبر الرمل الذي يعلوها . الا أن وضع المادة المائلة للخضرة لم يقتصر على قطعتي الغطاء . بل كماسك بين اسافل الاغطية والارض (الاشكال - ١٣ - ٣٠)

٢ - أما القبور التي تغطيها الجرار فهي النوع الثاني المألوف في المنطقة . وللمرة الاولى عند الكشف عنها في المربعات ، التي جرى فيها الحفر قبل غيرها ، كان لدي تصور آخر ، لذلك ابقيتها دون رفع « الجرار » وذلك بغية اجراء مقارنات معها والنوع السابق بخصوص مستواها عن سطح الارض التالية وارتباطها بقبور النوع الأول . الا أن مالاحظته أن المستويات متماثلة تقريباً كما إن المسافات بين النوعيين ، عند العثور عليها في ذات الربع ، مختلفه أضف الى ذلك أن اتجاهاتها قد تختلف وقد تتماثل . ومن الامور التي اصبحت بديهية أن قبور الجرار لاتختلف من حيث نوعية المحتويات المرافقة للهيكل العظمي مع مثيلتها في القبور الاخرى ، لذات المنطقة عموماً .

أما الجرار التي غطت الهيكل العظمي فهي بيضوية ذات فوهه مدورة ، دون عنق ، ومن الاسفل يوجد بروز اسطواني بقطر نحو ٤ سم وطول ١٠ سم ، في حين بلغ طول الجرة نحو ٧٠ سم . والملاحظه في الجرار انها مطلية بالقير من الداخل وغالباً ماتكون مليئة بالتراب .

أما بالنسبة الى النقوش فباستثناء الدوائر المحززة قرب العنق ، والتي توازي بعضها ، فهي بدون زينة ، الا أن مجموعتين من الجرار وصلت وعليها بعض الرموز والتي ليس من السهل تفسير دلالاتها ، ففي الزاوية الشمالية الغربية للمربع (١٠٤) كشف على مجموعة تحمل بالاسود العلامات التالية : ١ ، ١١ ، ٧ ، 4 ، + . في حين حملت الجرار المكتشفة في المربع (٨٨) العلامات

20 — Ponzi, Maria maddolena - Negros "Sassanem Class ware from Tell Mahu Z, Mesapot auma, III-IV, P. 301, 69 68-69, Torino.

21- Ibid; p. 302.

22 — Water mann, Leroy; Second Preliminary Report upon the Excevation of Tel umar, Iraq, Plate-XVI, USA-1933.



(الشكل ــ ١٣) ــ المرحلة الاولى رفع نصف غطاء القبر وتليها الثانية .



(الشكل ــ ١٥) ــ القبر المغطى بغطاء نصف اسطواني في الشكل السابق بعد رفع الغطاء عنه وتلاحظ القناني قرب القدم قرب المؤشر .

التالية : P ، قير (أي دون علامة) ، + ، قير (أي دون علامة) ، .

أما طريقة وضع الجرار فهي ليست على الارض مباشرة ، كما هو الحال في النوع السابق ، بل يوضع على صفين متوازيين من الطابوق الاحمر ، او على شكل متوازي مستطيلات ، بمثابة حدود لحفرة الدفن ، ثم توضع الجرار كجسر يصل بين الصفين الطويلين . الا أن هناك حالات تصل بموجبها حفرة ثم تمد الجرار فوقها بعد رفع هيكل الشخص تحتها . أما طريقة وضع الجرار فهو بشكل متبادل لضمان التوازن . وفي هذا النوع لم ينس العمال



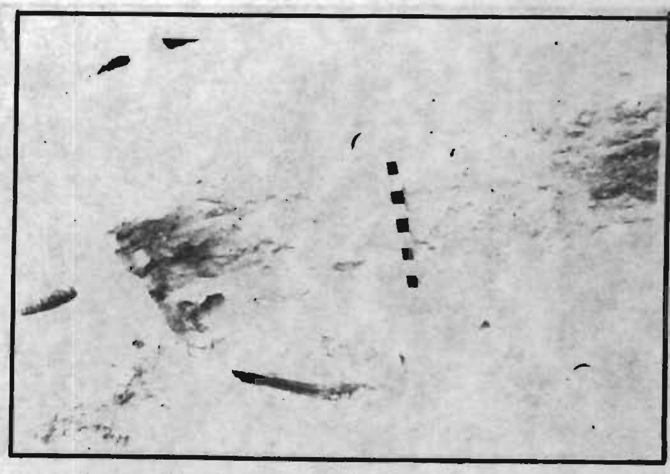
(الشكل ــ ١٤) ــ قبر من نوع الغطاء نصف الاسطواني من المربع (٢١) .



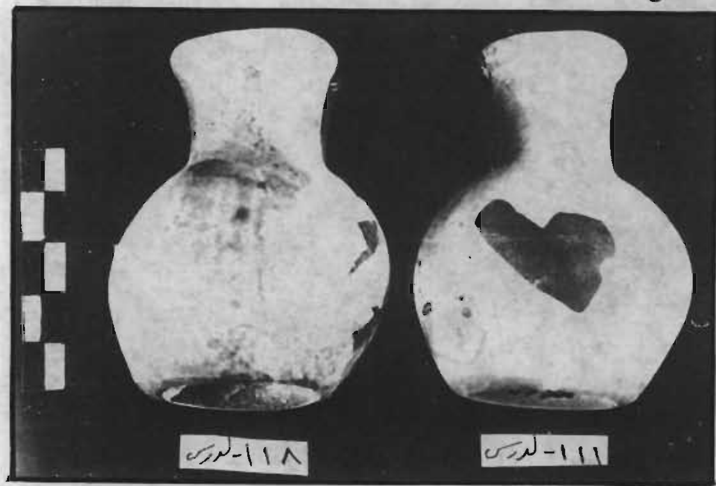
(الشكل ــ ١٦ أ) ــ القبر المكتشف في المربع (٢١) بعد رفع الغطاء عنه .



(الشكل ــ ١٧) ــ صورة مقربة للقبر المغطى بغطاء نصف اسطواني في المربع (٢١) وقد ظهرت قناني الزجاجي قرب المؤشر .



(الشكل ــ ٢٥) ــ القبر المكتشف في المربع (٤٢) ويمتد في جزءين بالمربع (٤٣) . وهو من النوع الحوضي المغطى بجزئين ومن الفخار المزجج .



(الشكل ــ ٢٧) ــ قنينتان ذات اخاديد اليمنى من المربع (٦٦) واليسرى من المربع (٩٧) .



(الشكل ــ ٣٠) ــ قنينتان ذات كتف فيه طية وفصوص الينى من المربع (٩٠) اليسرى من (١١٧) .



(الشكل ــ ٢٦) ــ قنينة كروية البدن (٧٢ ــ ٩١ ــ ٣م٤) من قبريين المربعين (١٠٧ ــ ١١٢)

وضع الطين الاخضر ليربط الجرار في امثلة عديدة ،

عى الرغم من السمات العامة لقبور الجرار فإن ظاهرة اخرى قد تصاحبها، وتتمثل في وجود قرص فخاري كبير في نهاية القبر يؤشر الى مكان الرأس . والقرص المذكور أما أنه يوضع موازياً للأرض . وعلى الارض مباشرة مثبتاً بكتلة كبيرة من الطين الاخضر ، كما هو الحال في قبر المربع (٣٨)
او أن يكون عمودياً على مستوى الارض كما هو الحال في قبري المربعين (٩٠) والاخر المتدين المربعين (٨٦ ــ ٨٧) . والملاحظ في تلك الاقراص انها مزودة بماسك

عند الوسط ، كما أنها تزود بزينة بسيطة قوامها حزمتان من الخطوط المحززة تتعامد مع بعضها وتلتقي في الوسط بشكل علامة (+) . كالمثال المعثور عليه في المربع (٩٠) . الا أن الخطوط ليست الزينة الوحيدة ، ففي مثال اخر توجد رصعات هلالية

متتابعة توازي الحافة الخارجية إضافة لمجموعتين من الرصعات مرتبة بشكل صفين يتقاطعان مع بعضهما عند الوسط . الا أن الاشكال القرصية قد تتخذ شكل طبق ضخم مرتفع الحافات ومزود بمصب من احد الجوانب . اضافة الى حزمتين من الخطوط متقاطعين في داخل الاناء . وذلك في الاثر (٩١١١٦ – م ح) المحفوظ في المتحف العراقي . وفي أمثلة اخرى نرى طابوقة حمراء تشير الى موضع الرأس عند احدى نهايتي الجرار .

٣ – الى جانب النوعين السابقين اتبع اسلوب آخر في تغطية بعض الهياكل . وتتلخص الطريقة ببناء شكل مستطيل بالطابوق لبضع طابوقات . ارتفاعاً . ثم يبدأ البناء بابراز حفوف الطابوق تدريجياً من الداخل . اي بموجب اسلوب الكوربل . وهذا النوع قليل نسبة الى النوعين السابقين . لقد عثرت على مثالين له في بداية التنقيب في المربع (٢) بين بناية الجزرة والوادي . اي ضمن المجموعة (أ) . ومثال آخر في المربع (٨٦) . اي ضمن المجموعة (ب) . وكان يرتفع لثمانية صفوف من الطابوق الاحمر لنحو ٦٠ سم . وغطت الاعلى . بعد تقريب جانبي الجدارين الطويلين . بطابوق متجاور . أما الملاط فهو من الطين الاخضر . وقد بلغت مساحة القبر (٢،٦٠×١،٢٠ م) . والطابوق المستخدم بمقاس (٣٠ × ٣٠، × ٦٠ سم) . أما اتجاه القبر فهو شمال – جنوب . وكذلك قبرا الربع (٢) . وعثرت على قبر آخر في المربع (٩٩) وهو ضخم ايضاً باتجاه شرق – غرب وقد بني بشكل متوازي مستطيلات وسقف جزء منه كوربل وفي الاعلى شكل جملون لاستخدام البناء لثلاثة طابوقات واصلة بين الفاصل والفتحة النهائية للسقف . بشكل متعامد جاعلاً احدى الزوايا قاعدة لصف الطابوق المتجاور . ورغم ضخامة القبر المذكور الا أن أي شيء لم يعثر بداخله . عدا الهيكل العظمي بالطبع . أما في المنطقة الكائنة خلف المتنزه . اي في المجموعة (ج) فلم أكشف عن اي مثال لهذا النوع من القبور المبنية بالطابوق . ومن المحتمل أن يكون السبب كامناً في كثرة تعرض هذا الجزء من الكتف الى القطع بالات التسوية . وليس هناك ما يشير الى أن القبر المذكور يعود لفترة تختلف زمنيا عن الامثلة التي تجاوره .

٤ – في المربعين ٤٢ – ٤٣ تم الكائنين بين المنطقتين (أ ، ج) تم العثور على قبر اختلف تماماً عن تلك المكتشفة في المربعات الاخرى . يتألف الصندوق الفخاري المزجج الحاوي للهيكل العظمي من جزء اسفل على شكل مستطيل ، في مقطعه ، مرتفع الحافات ومستدير عند نهايتيه . أما في الاعلى فقد وضع غطاء بقطعتين تلتقيان في الوسط . والى جانب اختلاف هذا الغطاء في شكله عن الاخرى المكتشفة ، فإن التزجيج وجودة الطينه ميزة اخرى ، اضافة الى الاختلاف فى المحتويات الدفنية المصاحبة (الاشكال – ٣٩ – ٢٥) . لقد تم العثور على جرة كبيرة مكسورة ذات عروة ، وجدت خارج الصندوق وفي القسم الغربي ، وهي جهة الرأس ، تلك ظاهرة لم الحظها في قبر آخر ، لان الرووس لم توجه نحو الغرب .

واضافة الى ذلك فإن الكاسات المزججة الثلاث ، والتي أصلحت مختبرياً امست ضمن القطع الجيدة التي عثرنا عليها داخل الصندوق وخارجه ، ولكن جهة القدمين ، اي الشرق ، ووجود الهدايا الدفنية قرب القدمين أمر مألوف في القبور الاخرى . الا أن الشيء المفقود هنا هو المواد الزجاجية ، التي كانتستعيننا أكثر على تحديد تاريخ القبر وملاحظة الاختلافات مع الانواع السابقة . وفيما يقال عن العمق الذي وجدنا عنده القبر،فهو أكثر من البقية ، رغم أن هذه المنطقة تعرضت الى اقتطاع اجزائها العليا ، مر ذلك بنحو ربع المتر . أما بالنسبة لتاريخ القبر فيمكن اعطاءه زمناً تقريباً هو القرن الأول – الثاني الميلادي . مقارنة بامثلة من تل عمر بسلوقيا .

٥ – لوحظت طريقة أخرى في دفن الأموات ، وتتلخص بوضعهم مباشرة على الأرض دون غطاء وهو الأمر الذي عرّض الهياكل العظمية الى التآكل شبه التام لأن الرمل كثير الملوحة اضافة الى مؤثرات أخرى ، لذلك فإن معرفة اتجاه الهيكل العظمي لم يمكن التعرف عليه . الا أنه مما ينبغي ايضاحه أن تلك القبور ، كانت تمدنا أحياناً بعدد من اللقى المهمة كقناني الزجاج ، والاشكال القرصية التي يبدو أنها مرايا من الجص والزجاج ، إضافة الى الاسورة والخواتم وكذلك القلائد . ومثل هذا التقليد لاحظته في أول مربع كشف فيه عن آثار ذات قيمة في تلول ابو خشم قرب المشخاب يوم ١٠ / ٢ ، وكانت عبارة عن قنينتي زجاج وشكل قرصي مصبوغ بالاحمر مزود في وسطه بقطعة من الزجاج المحدب ، وهو أمر يشير الى أن تلك الممارسات في الدفن كانت تشمل منطقة واسعة تماماً وفي فترة لاحقة عثر على عدد كبير جداً من المواد في الموقع المشار إليه .

أما فيما يخص طريقة وضع الاموات فالطريقة المتبعة دوماً هي الامتداد على الظهر ، ولم الحظ وضعاً قرفصائياً . وعلى أية حال ، فإن الدفن بحسب الطريقة الاولى حفظ الهيكل العظمي بصورة أفضل من طريقة الجرار لان الاتربة النازلة من الاعلى أثرت على الهياكل العظمية .

ملاحظات عامة في القبور واللقى :

بعد الانتهاء عن عرض النقاط الرئيسية فإن نظرة موجزة مقارنة ، هي ما ينبغي أن نتوقف عندها .

إن أول ما قد يتساءل عنه هو السبب في اختلاف أساليب تغطية الهياكل ، باستثناء ما في الحالة الرابعة التي أملاها الفارق الزمني . إن الاختلاف المشار إليه قد يعني التفاوت المادي في

الصرف طبقاً لحالة اسرة الشخص او مدى رغبتها في الانفاق. وفي الواقع يبدو أن البناء بالطابوق هو الاكثر تكلفة، وهو أمر ربما يشير الى سبب قلته، يليه في ذلك الاغطية نصف الاسطوانية. إن الاغطية ليست سهلة الحمل، كما أنها معرضة للكسر. وعلى أية حال فهي اكثر تكلفة من الجرار التي يمكن حملها بصورة أسهل. كما أن كسر أجزاء منها قد لايعني شيئاً. الا أن هناك نقطة مهمة وهي السؤال عن سبب طلائها من الداخل بالقير، فهل استخدمت في حفظ الحبوب، ومنعاً لتسرب الرطوبة إليها اضيفت المادة العازلة، أم لسبب أخر؛ أما الطريقة الموضحة في النقطة الخامسة فهي ليست بحاجة الى ايضاح لانها أرخص الاساليب. لذلك لاندري فيما اذا كان الاختلاف كافيا في تفاوت الانفاق، أم أن هناك اختلافاً زمنياً بسيطاً، رغم استمرار تشابه اللقى الدفنية، التي ربما احتاجت لفترة أطول للتغير. على أية حال، لم الحظ اختلافاً في مستويات الدفن باستثناء الحالة الموضحة في القرن الرابع. الا أنه يمكن ايراد احصائية حول انواع القبور المعثور عليها: –

١ – المغطاة بالاغطية نصف الاسطوانية ٥٤.
٢ – المغطاة بالجرار ٢٢.
٣ – المغطاة بالطابوق ٤.
٤ – المغطاة بالفخار المزجج ١.

ومن الاحصائية المشار اليها نستطيع أن نفهم أن الاسلوب الاول كان الاكثر شيوعاً، الى حدّ الرقعة التي تم فيها الحفر. ولكن مع ذلك، تبقى نقطة يمكن الاشارة اليها والسؤال فيما اذا كان الاختلاف راجعاً الى فرق في العقيدة، ولو كان طفيفاً، او ربما راجعاً الى نمط الناس وطبيعة انتسابهم العشائري.

من الاسئلة التي يمكن طرحها ايضا. ما تعلق باتجاه القبور، اذ أن الهياكل العظمية. ويتبع ذلك الاغطية التي فوقها، ممتدة باتجاه شرق – غرب. أو بازورار قليل او كثير نحو الشمال والجنوب، كما أن هناك أمثلة قليلة وفيها وجد القبر باتجاه شمال – جنوب.

على أية حال. ينبغي قبل كل شيء. تحديد المبدأ الذي بموجبه اتخذوا اتجاهاً ما، فما قمنا به خلال التنقيب هو توجيه مربعات الحفر باتجاه الجهات الاربع الاصلية، وذلك اعتماداً على البوصلة. التي ليس من السهولة افتراض استعمال العرب لها قبل الاسلام. وخاصة لمثل تلك الامور الدينية. اضف الى ذلك أن الاتجاه المغناطيسي متغير دوماً. ومن المحتمل أن النجوم الثوابت هي ما استعانوا به لتحديد الاتجاهات زمانهم. واذا كان الامر كذلك فينبغي أن يكون اتجاه الدفن دون اختلاف. لذا يبدو محتملاً أن يكون اتجاه شروق الشمس هو المعول عليه في توجيه القبور، وبالنظر لاختلاف شروق الشمس، تبعاً لميلان محو الارض، وحسب الفصول، فإن توجيه امتداد القبور جاء مختلفاً تبعاً لذلك. ولكن اذا ما سألنا عن الوقت الذي يتعامد فيه خط الشروق على امتداد اتجاه الابرة المغناطيسية، حالياً فالجواب هو فصل الصيف.

على أية حال، كانت نسبة واضحة من عرب الحيرة تعتنق الوثنية، وبمرور الوقت تمكنت النصرانية من بعضهم بدلالة الاشارات التأريخية. واذا كانت الوثنية هي الغالبة، فمن الواضح أن الشمس هي احدى الكواكب المهمة التي عبدها العرب والعراقيون القدماء، وكان لها الاثر الواضح في حياة الناس على اية حال في فترة سابقة لامثلة الحيرة أو موازية لها أمكن تسجيل عدد من الملاحظات بخصوص اتجاهات الدفن، على الرغم من انها كثيراً ما تهمل في التقارير. في موقع نوزي في محافظة التأميم كشف على نماذج للقبور، أربعة منها بأتجاه شمال غربي – جنوب شرقي، وثلاثة باتجاه شرق – غرب في حين عثر على نموذجين باتجاه شمال شرق – جنوب – غرب[٢٣]. أما في الحضر فإن اضلاع القبور البرجية وجهت بشكل يماثل توجيه اضلاع المعبد الكبير الا أن دفن الاشخاص فيها في عدد من الامثلة باتجاه شمال – جنوب بموجب توجيههم للاضلاع وليس بموجب البوصلة اذ ينحرف الشمال نحو الشرق.

لعل من أصعب الامور واكثرها تعقيداً ما خص عقائد الفترات المتأخرة، واعني بها التالية للحضارات الاصلية في بابل وسومر واشور ومصر وسوريا، والتي ازدهرت بعد فترات الاستعمار الاجنبي لان الناس ربما تناسوا حتى المبررات الاولى التي اتخذتها وتبنتها مجموعات انسانية سابقة، بل ولربما أوجدوا لها تخريجات قد تكون بعيدة عن الاولى.

من الاسئلة التي قد تصادفنا تنوع القبور التي عثرنا عليها وفيما اذا كانت الاختلافات بينها تعود لسبب عرضي.

ان الملاحظات التي جمعتها عن القبور التي وجدت فيها الاثار لتؤكد بانها ضمن قبور النساء فقط، اعتماداً على ذلك من حجم الهيكل العظمي والحوض، اضافة الى بقايا الشعر المنسدل واثار القماش الرقيق. واضافة الى ذلك ان الاساورة والخواتم والقلائد. والقطع التي أسميناها مرايا، الى جانب قناني العطور والدهون كلها ذات مدلولات تشير الى انها تعود الى النساء.

على اية حال. كانت الهدايا الدفنية تخضع لشروط بدلالة محدودية تنوعها. كما انها وضعت في موضع قلما تغير بالنسبة الى الهيكل العظمي.

ان ما بينته الحفريات هو أن الهدايا الدفينة كانت توضع قرب أحد القدمين باتجاه الاعلى. الا أن هناك استثناءات قليلة. كما هو الحال في القبر (أ) في المربع ٢٥. وكما أشرت سابقاً ان الهدايا الدفنية المصاحبة للهيكل المعثور عليه في المربع

23 — Ponzi, Mesopotamia III-IV, P. 305 - 6.

(٤٢)، والممتد في (٤٣)، كان بعضها عند الرأس المتجه غرباً، الا أن بقية اللقى كانت عند القدمين وخارج الصندوق المزجج، وكانت من الفخار والفخار المزجج دون الزجاج. وكما اسلفت أن هذا القبر حالة خاصة بالنسبة للمنطقة التي حفرت فيها.

في عام ١٩٦٩ صدر موضوع لكاتب البحث يخص عقائد عصور ما قبل التاريخ (٢٤). ويدور محور الموضوع على نقطة اساسية مفادها أن لقى القبور لم تكن في أول أمرها لمصاحبة الاموات في العالم الثاني. لقد افترضت انها ذات مضمون سحري لعكس استمرارية الحياة للأحياء، حسب مبدأ السحر الانجذابي او التعـاطفي، وذلـك عن طريـق الحفـاظ عـلى حقيقـة الشيء وجوهره. وبما أن المرأة هي المسؤولة الاساس في استمرار الحياة، فإن الاهتمام بحقيقتها كان من أول مضامين الديانات والمعتقدات القديمة. الا أن تغير منزلة الرجل في الحياة العامة والحكم قد غيرّ في الكثير من نواحي العقيدة. على اية حال. ان العودة لي التركيز على دفن اللقى مع النساء يبدو أنه يشير الى العودة الى التركيز على منزلة المرأة. كما انه قد يشير الى أن المجتمع القروي الذي قام بدفن امواته في كتف بحر النجف، كان يعتمد بصورة خاصة على الاقتصاد الزراعي التعاوني. ومما يؤكد هذه الحقيقة غنى المنطقة بالمياه والاراضي المترامية السهلة في بحر النجف نفسه. ولكن حتى في حالة هذا الافتراض فإن الامر المذكور لا ينفي احتمال ايمان الناس بالحياة الثانية، ولو أن للقى الاثرية تفسيراً آخر غير ذلك كما يبدو.

المواد المكتشفة في المقبرة

تتمثل غالبية اللقى التي عثرنا عليها في المنطقة في قناني مختلفة من الزجاج بلغ عددها (١٠٥)، وعدد كبير من الخرز امكن وضعها في (٢٤) قلائد قوامها خرز من العقيق وحجر زجاجي من كاربونات الكالسيوم وحجر الدم كاحجار طبيعية وكذلك خرز من زجاج وعجينة الزجاج إضافة الى دلايات من مواد عضوية سوداء هشة. والى جانب ذلك عدد من أساور نحاس وحديد وقطع قليلة من الفخار، كما أمكن العثور على (١١) قطعة مستديرة او محدبة من الجص في وجهها رصعت قطعة مهربة من الزجاج ربما استعملت كمرايا وزودت احياناً ببروز من الخلف غرست فيه قطعة من الزجاج أيضاً، كما صبغت بعضها باللون الأحمر.

أولاً ـ القلائد:

يمكن إختيار جملة من القلائد، وهي بالاصل مجموعة من الخرز عثر عليها في قبر واحد من مواد أشرنا إليها. وقد اعطيت كل مجموعة رقماً تنقيبياً، كما أعطي معظمها رقماً متحفياً. ويمكن اختيار جملة من القلائد لاعطاء فكرة عامة عنها:

القلاده ـ (٩١٠٩٦ ـ مع)، (الشكل ـ ٤٤):

قوام القلادة خمس خرز بيضوية من حجر الدم. قطرها سنتمتر واحد تقريباً، وستة من عقيق برتقالية اللون غير معرّقة، لوزية الشكل، إضافة الى قطع من حجر زجاجي طولها

القلادة ـ ٩١٠٩٠ ـ مع (الشكل ـ ٤٠):

تحتوي على خرز نصف كروية من حجر الدم. وواحدة خضراء من عجينة زجاج كروية واخرى عقيق ثم قرصية خضراء داكنة، فيها خطوط متوازية بيضاء، إضافة الى واحدة من مادة سوداء هشة. أما الخرزة الاولى فهي على جانب من الاهمية لانها تحتوي على مشهد لحيوان جالس يدير ظهره الى الخلف، أي بمثابة ختم منبسط، وهو الشكل الوحيد في التنقيب الذي يمكن أن يعطي تاريخاً تقريباً للقبر المعثور فيه وبالتالي لمجموعة القبور الاخرى لتشابه ملتقطاتها. اما مقاس الخرزة فهو (١,١ سم) قطراً و (٠,٨ سم) ارتفاعاً. (الشكل ـ ١١). والختم المذكور تتلخص أهميته بامكانية مقارنته مجموعة من اختام منبسطة من فترة الحيرة محفوظة في المتحف البريطاني والقريب منها لنموذج الحيرة برقم (١١٩٥٤٩).

ويتمثل مشهد ختم الحيرة بحيوان جالس اشبه بالوعل له قرون ويستدير الى الخلف. أما نموذج المتحف البريطاني فعلى ذات الشاكلة الى أنه بوعلين ورأس واحد. وقد أعطى له الباحث في المجموعة تاريخاً يعود الى القرن الرابع الميلادي (٢٥)

القلادة ـ ٩١٠٨٨ ـ مع

وهي مجموعة كبيرة من الخرز فيها ستة من الخرز حجر زجاجي أكبرها بطول (٢ سم)، وست لوزية أو بيضوية من عقيق وواحدة كروية، واخرى قرصية وخمسة ناعمة قرصية وكروية، اضافة الى عدد كبير من خرز زجاجية مقاساتها (٥ ـ ٢ ملم).

القلادة ـ ٧٠ ـ حيرة (للدرس):

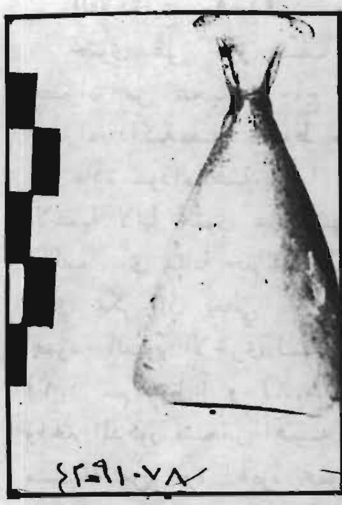
تتألف من خرز بيضوية من الزجاج المعرق بألوان: الاحمر، الاخضر، الاسود، الابيض والاصفر، واحد هذه الخرز طويلة (٢ سم) وقطرها (١ سم). (الشكل ـ ٤٣).

---

٢٤ ـ الشمس، ماجد؛ «الاستمرارية». مجلة الاقلام، ص، ١٩٩١. بغداد

25 — Bivar, A.D.H; Catalugue of the Wester Asiatie seals In the British, Muscum, II, Mate-18 (No-119 545), London, 1969





(الشكل – ٣٤) ـ قنينة بدن (الشكل – ٣٥) ـ قنينة مخروطيه
كروي ورقبة طويلة وثلاثة ارجل البدن (٩١٠٧٨ – م ع) من
(٧٧ . ٩١ – م ع) من قبرين المربع (١٠٩)
المربعين ١٠٧ و ١١٢) .



(الشكل – ٣٧) – قنينة كروية البدن ذات ثلاثة ارجل . (٧٤ . ٩١ – م ع) من قبرين المربعين (١٠٧ و ١١٢) .



(الشكل – ٣٨ ، – قنينة ذات بدن شبه كروي فيه رصعات وثلاثة ارجل . من المربع (٩٧) . (٨ ، ٩١١ – م ع)

١,٥ سم) ، وخرز زجاج يميل بعضها الى الخضرة .

ثانياً – زجاجيات الموقع :

عند مراجعة كتب الاثار تمدنا المصادر بالعديد من الامثلة لقطع آشورية وبابلية وماتلا هاتين الفترتين ، فالعراق كان بلدا لصناعة الزجاج منذ فترات قديمة ولأدل على ذلك من ذكر صناعته في النصوص المسمارية[٣٦] . الا أن هذه المادة اتسع نطاق انتاجها بتغير وتحسن أساليب صناعتها وخاصة في فترتي الحضر والحيرة الموازيتين للاستعمار الفرثي والساساني .

من فترتي الحضر والحيرة وصلتنا نماذج عديدة لقطع الزجاج من أرجاء القطر المختلفة أتسم بعضها بخصائص موقعية كما اشتركت جميعها في خصائص معينة املاها أسلوب الصناعة كشيوع أسلوب النفخ الحر في فترة الحيرة .

أما بالنسبة لزجاجيات الحيرة المكتشفة في الفترة بين (٩٦٥ – ١٩٦٦) فقد خرجت لها بعض الدراسات اذ أن قسماً من القطع تناولتها السيدة هناء عبد الخالق في رسالتها للماجستير . « الزجاج الاسلامي » عام ١٩٦٩ واصدرتها وزارة الاعلام عام ١٩٧٦ . لقد تناول بحثها أحد عشر قطعة زجاجية من الموقع ، وأشارت الى أن تواريخ بعضها يجعلها تعود الى الفترة بين القرنين الرابع والخامس الميلادي[٣٧] . في حين أرخت اخرى ضمن فترة اوسع . وصلت الى القرن السادس[٣٨] . وأخرى بين الثالث والرابع[٣٩] . كما اوضحت أن الصناعة كانت بطريقة النفخ الحر[٣٠] .

أما الباحثة الايطالية ماريا مادلينا نيكرو بونزي فقد نشرت بحثاً عن زجاج أبو صخير المذكور في العدد السابع من مجلة « ميزوبوتاميا » لسنة ١٩٧٢ .

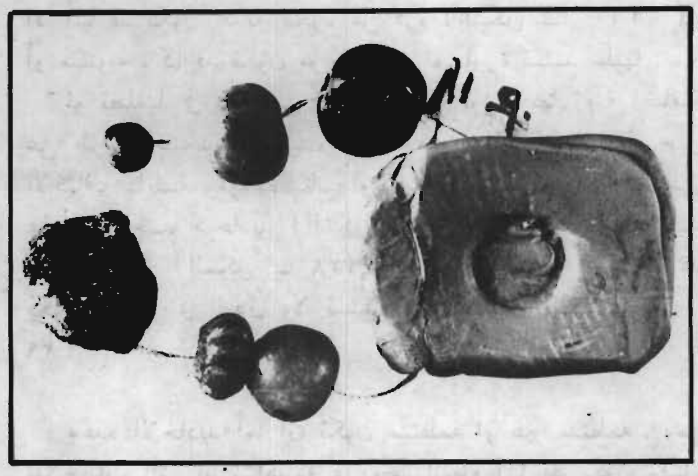
ع)

٣٦ – وذلك منذ القرن السابع عشر ق . م . كما ورد في نص مسماري يشرح وصفة لعمل الزجاج تراجع ترجمة عن كامبل تومبس في : هناء ؛ ص ٢٥ – ٢٦

٣٧ – هناء ، ص ١١٩ – ١٢٠ . والقطع التي تمثلها والموجودة في المتحف العراقي اعطيت الارقام : ٧١٥٢٢ ، ١٥١٣ ٧

٣٨ – هناء ؛ ص ١٢٢ . ومثال ذلك القطعة المرقمة (٧١٥٣٥ – م .

30 Thompson; Dictconary of Assyrian Chemistry and Geohgy P. xxxv., oxford, 1936.



(الشكل ـ ٤٠) ـ قلادة فيها خرزة بمثابة ختم منبسط (٩١٠٩٠ ـ م. ع) من المربع (١١٧)

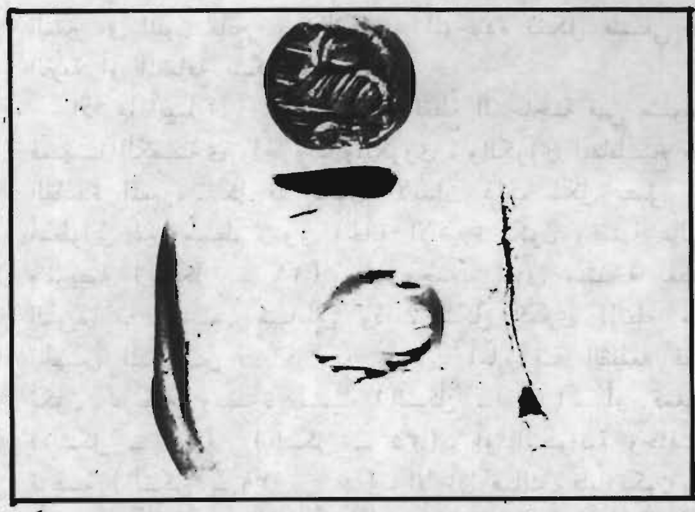
لقد أشارت ماريا الى أن مجموعة "ابو صخير" لاتقع تماماً ضمن أية مجموعة مصنفة مدروسة[٣١]. كما ذكرت أن الاواني الفخار المزججة وغير المزججة من ذات القبضة الواحدة والقبضتين تؤرخ الزجاج بالفترة بين القرنين الثاني والثالث الميلادي[٣٢]. الا انها اشارت الى أن الاشكال ذات الاضلاع والاخاديد تشير الى أمثلة سورية مشابهة، الا أنها مؤرخة بالقرن الخامس وحتى السابع[٣٣] كما بنيت أن قطع الزجاج ذات الاخاديد من الوركاء وابي صخير تضعها في تاريخ واحد[٣٤].

نماذج لزجاج المقبرة المكتشف في التنقيب :

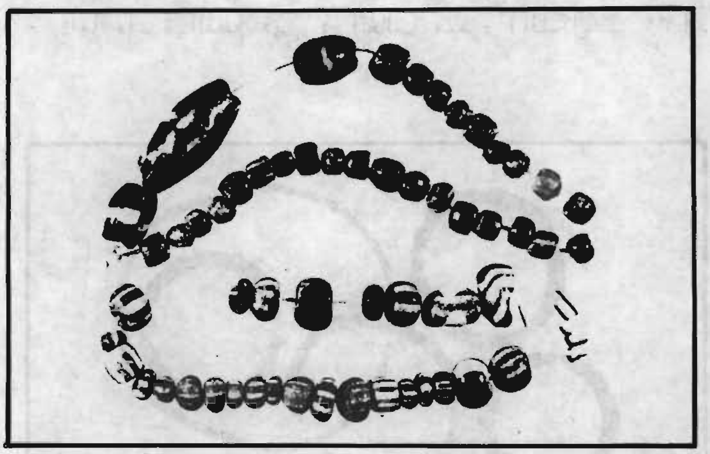
تعتبر قطع الزجاج اكثر المواد التي عثر عليها في الموقع. ولهذه المادة أشكال مختلفة تماثل بعضها ما وصل الى المتحف من ذات المنطقة سنة ١٩٦٥. الا أن هناك انواعاً لا تماثلها.

بالنسبة الى لون الزجاجيات فهو مختلف بين الشفاف والاخضر الفاتح، كما وهناك قطع بالاخضر الغامق. أما النوع الشفاف فقد وصلتنا منه قطع عديدة ذات ابدان كروية والمفلطحة بعض الشيء، ثم القاعدة العريضة والمقطعة البدن عموماً (الاشكال ٢٧ ، ٢٨). أما اللون الاخضر بنوعيه فقد وردتنا له قناني ذات كروات (الشكل ـ ٣٩ ، ٢٦ ،) ، أو كروية البدن (الشكل ـ ٣٦ ـ . أو كروية غير منتظمة ذات قاعدة ثلاثية الارجل على كتفها

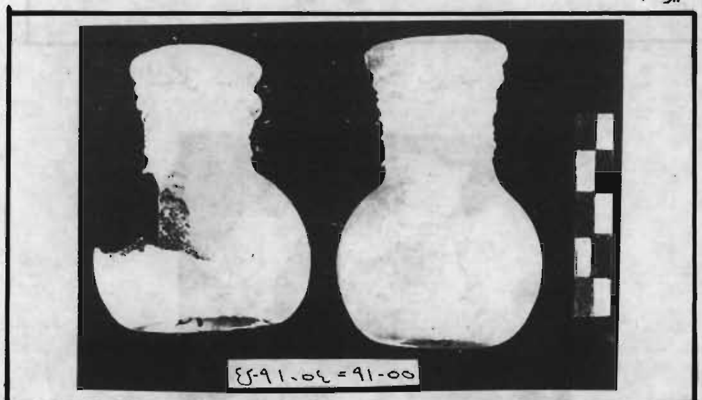
31 — Ponzi; "Glassware from Abu skhair (central Iraq)", Mesopotamia., VII, 1972, p. 210.
32 — Ibid.; P. 216., p. 218.
33 — Ibid.; 236.
34 — Ibid., p. 218.



(الشكل ـ ٤١) ـ الختم المنبسط وطبعته والمشهد فيها يمثل حيواناً مضطجعاً.



(الشكل ـ ٤٣) ـ قلادتان، العليا (٧٠ ـ حيرة) والسفلى (١٥٦ ـ حيرة).



(الشكل ـ ٣٢) ـ قنينتان ذات رقبة مزينة بخيوط زجاج، اليمنى من المربع (٢٥). واليسرى من المربع (٤٠).

بروزات (الشكل ـ ٣٨)، الا أنها قد يتخذ جسمها شكلاً بصلياً ورقبة واسعة مرتفعة (الشكل ـ ٣٤). أما نسبة الزجاج الشفاف الى الاخضر الداكن فهي الغالبة. ومن الواضح أن

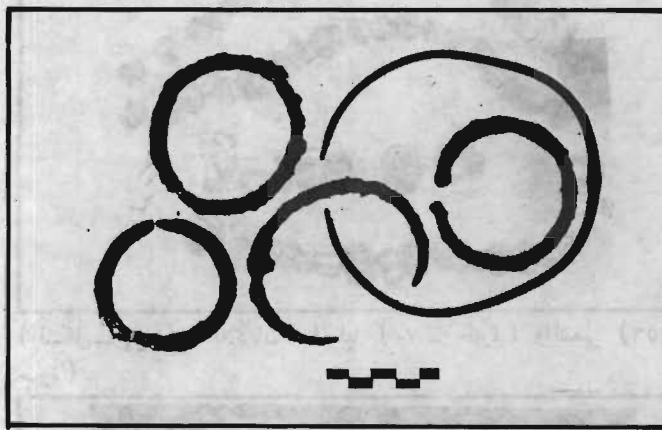
التغير في اللون ناتج عن الاكاسيد الموجودة بشكل طبيعي في التربة أو المضافة بشكل متعمد .

اذا ما أتينا الى اشكال أجسام القطع الزجاجية فهي متنوعة فمنهـا الكمـثري والمخروط والكروي ، والكروي المفلطـح ذو القاعدة المقعرة . كما قد تكون الابدان ذات شكل بصلي أو اسطواني غير منتظم ، وفي الحالة الاخيرة تكون رقبتها عالية وعريضة (الشكل ـ ٢٩) ، كما وجدت قناني منتفخة بعض الشيء من جانبين متقابلين وذات شكل كمثري المقطع من الجهتين المذكورتين . أما رقبة القطعة فقد تكون عريضة وقصيرة نسبياً (الشكل ـ ٤٨) ، أو قمعية (الشكل ـ ٤٣) ، (الشكل ـ ٣٥) ، أو اسطوانية وحافتها قرصية (الشكل ـ ٣٩) ، الا أن هناك رقاباً تكون في اعـلاها أكـثر قطراً من أسفلهـا ، وهي بـين الشكـل القمعي والاسطواني وقد تبرز حافتها العليا نحو الخارج قليلاً أو كثيراً .

أما قاعدة القطع فهي في الغالب مقعرة (الشكل ـ ٣١) ، الا أنها قد تكون محدبة كجزء من كرة (الشكل ـ ٢٦) ، أو مستوية ، كما قد تكون مزودة باجزاء بارزة تستند عليها .

لو تطلعنا في عدد من قطع الزجاج نرى فيها زينة اضافية عن طريق استخدام أساليب عديدة منها ما عمل باسلوب حبل الاكتاف غاطسة ومزودة بثمانية وعشرين الى عشرين فصاً مستمرة على كل الجسم كأخاديد (الشكل ـ ٣٠) ، أو قد يتوقف عند الكتف فقط (الشكل ـ ٢٨) ، الا أن تفصص الاخاديد قد يكون معمولاً في البدن ولا تستمر في الكتف (الشكل ـ ، ٢٩) .

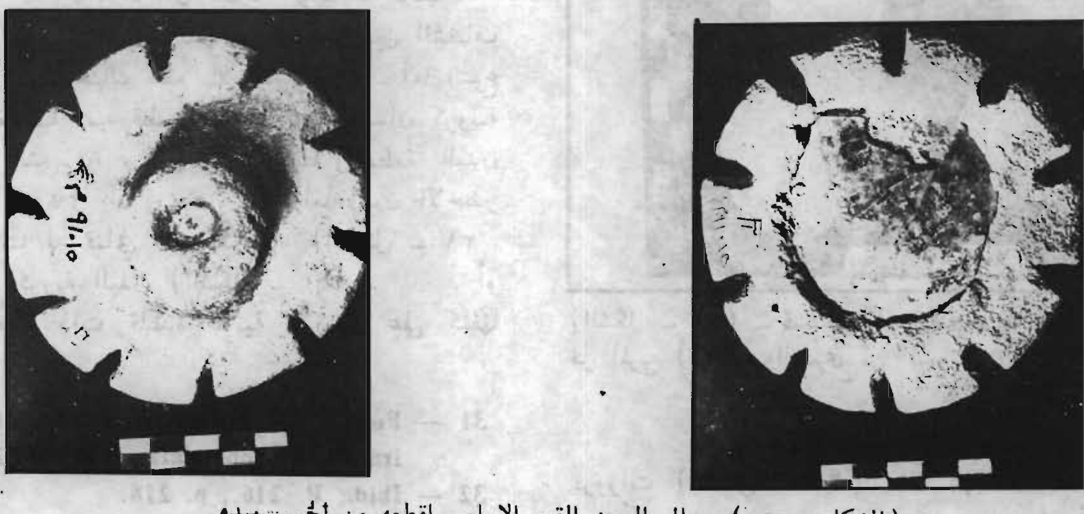
وهذه الاخاديد أما أن تكون منتظمة أو غير منتظمة . ومن الملاحظات التي قد نشاهدها في بعض القطع انها قد تكون ملساء من الخارج في حين نرى أخاديد في الداخل . واضافة الى ذلك هناك قطع فيها رصعات أو بروزات على البدن (الشكل ـ ٣٣ ، ٣٨) ، أو قـد تزود بخيوط زجـاجيـة حول الرقبـة (الشكل ـ ٣٢) . واذا ما أتينا الى العروات فهي قليلة عموماً ، وعند وجودها لا تكون أكثر من واحدة .



(الشكل ـ ٤٥) ـ حلقات من قبور مختلفة



(الشكل ـ ٤٧) ـ قطعة من الجبس كالسابقة .



(الشكل ـ ٤٦) ـ الى اليمين القسم الامامي لقطعه من الجبس يبدو أنها مرآة وقد لبست في وسطها قطعة محدبة من الزجاج . والى اليسار الجزء الخلفي المزود في منتصفه بقطعة صغيرة من الزجاج ايضاً .